يحكى أن

٢٥

العصفور

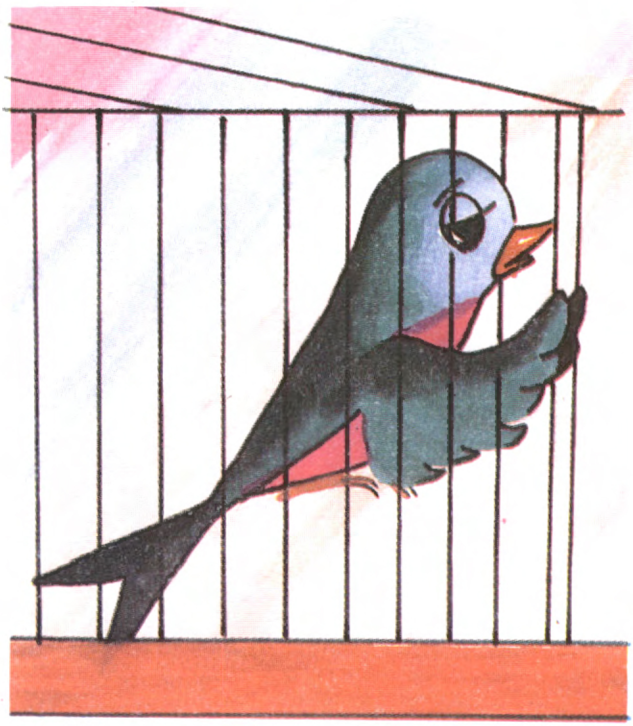
يحكيها: طارق سعد
ترسمها: منال بدران



دار المعارف

يحكى أن

(٢٥)



العُصفور

يحكيها : طارق سعد

ترسمها : منـــال بدران

دار المعارف

تصميم الغلاف : **عزيزة مختار**

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة: ج.م.ع.

دَخَلت الصغيرةُ « إلْهامُ » شُرْفةَ غُرفتِها التى تُطِلُّ على الحديقةِ ، ورفَعتْ نَظَرها إلى أعْلَى ، حيثُ يُوجَد عُصفورٌ صَغِيرٌ فى قفصٍ مُعَلَّقٍ على أحَدِ حوائطِ الشُّرْفَة .. قالتْ : (إلْهامُ) وهى تبتسمُ :

- كيفَ حَالُكَ يا عُصْفُورى الجميل «بُلبل»؟

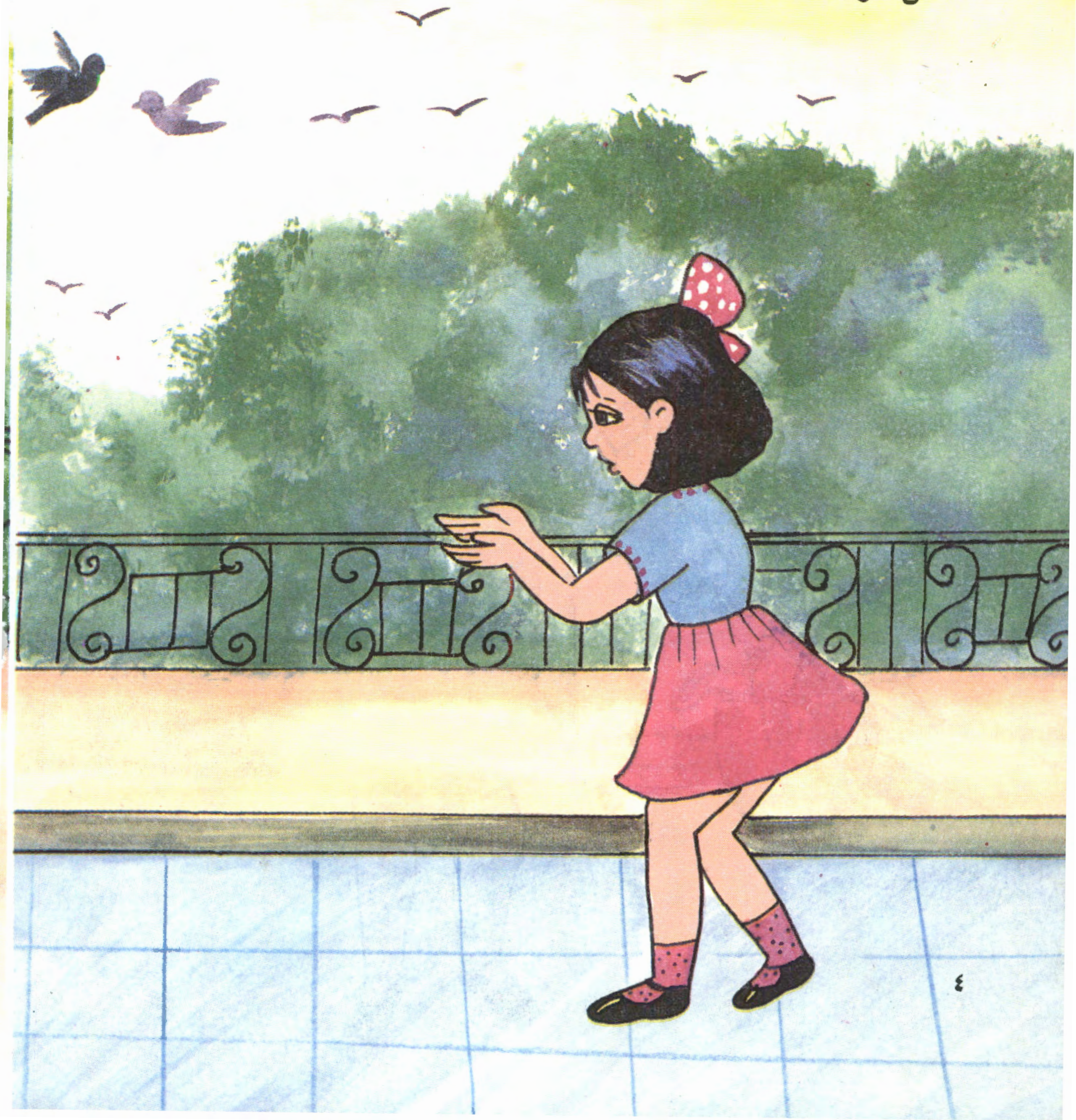
- لَمْ يلتفِتِ العُصفورُ إليها .. وانكمَشَ فى الرُّكْنِ البعيدِ من القفصِ .



داعبتْهُ « إلْهامُ » فى رقَّةٍ ، وقالتْ بلَهْجَةٍ مَرِحَة :

هيا يا « بُلْبُل » غَرِّدْ يا عُصفورى الجميل .. أيْنَ ألحانُكَ الرَّائِعةُ ؟ أريدُ أنْ أسْمعَ صوتَكَ ، فهيَّا زَقْزِقْ وَلَوْ مَرَّةً واحِدةً ..

لَم تَظْهَرْ أيةُ استجابةٍ من العُصفور « بُلبل » .. وَظَلَّ كما هو ، مُنكمِشًا فى حُزْن .



أشَارَتْ « إلْهامُ » إلى شَجرةٍ كَبيرةٍ فى حَديقةِ المنزل ، وقَالتْ :أنظرْ ! ! كُلُّ العصافِير تُزَقزقُ وتُغَرِّدُ فى سعَادةٍ مَا عدا أنْتَ ! .. إنَّ أمْركَ عَجِيبٌ يَدْعُو للحزن والأسى ! فكلما نظرت إليك شعرت بأنك فى غاية الحزن لوجودك معى !



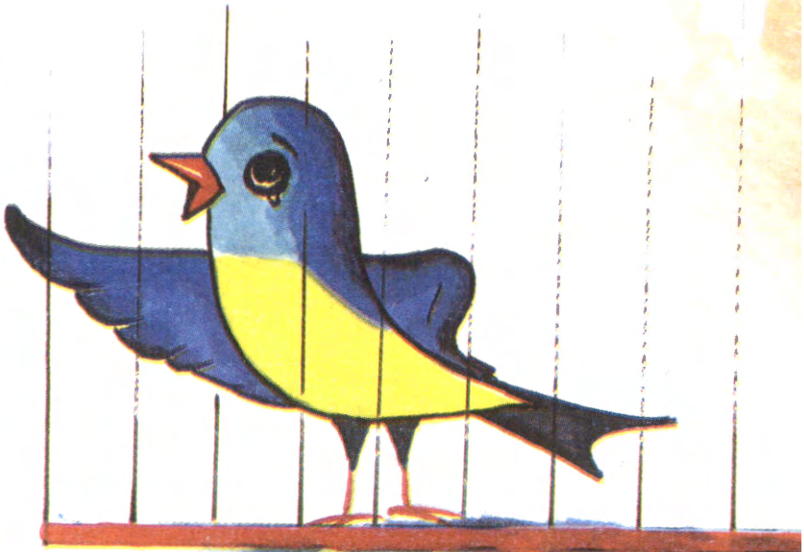
اكْتَفَى العُصْفُورُ بالنظر نحوَ الشَّجرةِ بأسىً..

شعرتْ « إلْهامُ » بالضِّيقِ والغضَبِ ، فتركتْهُ وعادَتْ إلى غُرفتها ..
وقالتْ وهى تغلِقُ بابَ الشُّرْفَةِ : إنه يرفضُ الاستجابَةَ لى! حَسَنًا ، هُوَ حُرٌّ !

توقَّفتْ «إلْهامُ» لحظةً ، وفكَّرَتْ وهى تُردِّدُ الكلمةَ الأخِيرَة: «حُرّ»..

وقالتْ لنفسها بعنادٍ :

- ولكنَّهُ مِلْكى أنا ، ومِنْ حَقِّى أن أسمعَ تغريدَهُ الجميلَ حَتَّى لو كانَ محبوسًا فى قَفَصٍ ، أو فى صُندوقٍ من الحَدِيد !



« صُندوق مِنَ الحَدِيد » !

يبدُو أنَّ هَذِه الجُملَة تُوحِي لِصدِيقَتِنَا بشيءٍ مُخِيفٍ ، فَما إنْ نطقتْ بها حَتَّى شعرتْ بأنَّ قلبَها يدقُّ بسُرعةٍ كبيرةٍ ، وبأنها مُضْطَربَةً بشدَّة ..

فتجمّدتْ مكانَها وهي تنظرُ لأعلَى بشرُودٍ .





لقد تذكَّرَتْ « إلْهامُ » تلكَ اللحظاتِ المرعبةَ التى قَضتَها محبوسةً وحْدَهَا فى المصْعَد الكهربائىِّ ، عندما تعطَّلَ بها فى مُنتصف المسافةِ ، فلا هو يَصْعدُ أو يهبطُ ، ولم يكنْ بإمْكَانِهَا الخروجُ إلاَّ بعد عَوْدَةِ التيار الكهربائىِّ ..

وتذكرتْ أنها أخذتْ تبكِى وتصرخُ ، حتى تَمَّ إنْقَاذُها وهىَ فى حَالةٍ سَيِّئةٍ جدًّا !



قالتْ « إلْهامُ » ، وهَىَ ما زالتْ مُضْطَرِبَةً: لقد كانتْ لحظات مُرْعِبَة .. ما أسْوَأ أنْ نشعرَ بأننا فى عُزْلةٍ وَوَحْدَةٍ .. بَعِيدُونَ عَمَّنْ نُحِبُّ .. لا أحَدَ يستجيبُ لصَرَخاتِنَا، ولا نَدْرى ما يمكنُ أنْ يَحْدُث لنا ! وابتسمتْ وهى تهمسُ لنفسِهَا: يَا إلهى ! ثلاَثُ سَنَواتٍ مَرَّتْ ومازلتُ أفزعُ من تلكَ الذِكْرَىَ المؤْلِمَةِ! وخرجتْ إلى الشُّرْفَة مَرَّةً أخْرَى، وابتسمتْ للعُصْفور الحزينِ .

وقالتْ برِقَّةٍ :

- تَصبحُ على خَيْرٍ يا عُصفورى الجميل « بُلبُل » .. سَوْفَ أنامُ الآنَ .

ثـم عـادَتْ إلى فِرَاشِـها وحـاولتْ أنْ تنـامَ ، ولكِنْـــهَا لم تَسْــتَطِعْ أن تنـامَ بسهولَةٍ ، بل نَامَتْ بعد مَا غلبَها الإرْهَاق والتفكير ، فـى « بُلْبُـل » ، وفـى حَادث المصعد ..

.. وفى نَومِها، رأتْ «إلْهامُ» أغربَ حُلْمٍ فى حيَاتِهَا ..

.. لقد زَارَهـا العُصفـورُ « بُلْبُـل » فـى المنامِ ، ودَارَ بَيْنَهُمَا حِوارٌ طِوِيلٌ ..



بَكَى العُصفورُ الصغيرُ « بُلْبُل » ، وقالَ مُتوسِّلاً بصوتٍ حَزِين :

– أرْجُوكِ يا صَدِيقتى الطَّيِّبَة .. دَعِينِى أخْرُجُ من هذا القَفصِ الصَّغيرِ . إنَّنِى أشعرُ بالحزْنِ والمَلَل .

قالتْ «إلْهامُ» بلهجةٍ رَافِضَةٍ: أتريدُ أنْ أطْلِقَ سَرَاحَك ؟ ! إنَّ ذلِكَ مُستحيلٌ .

صرخَ « بُلْبُل » بدهشةٍ:

– ولماذا تحبْسينَنِى ؟ بماذا يفيدكِ ذَلِكَ ؟ حرامٌ عَلَيْكِ .. حَرَام !

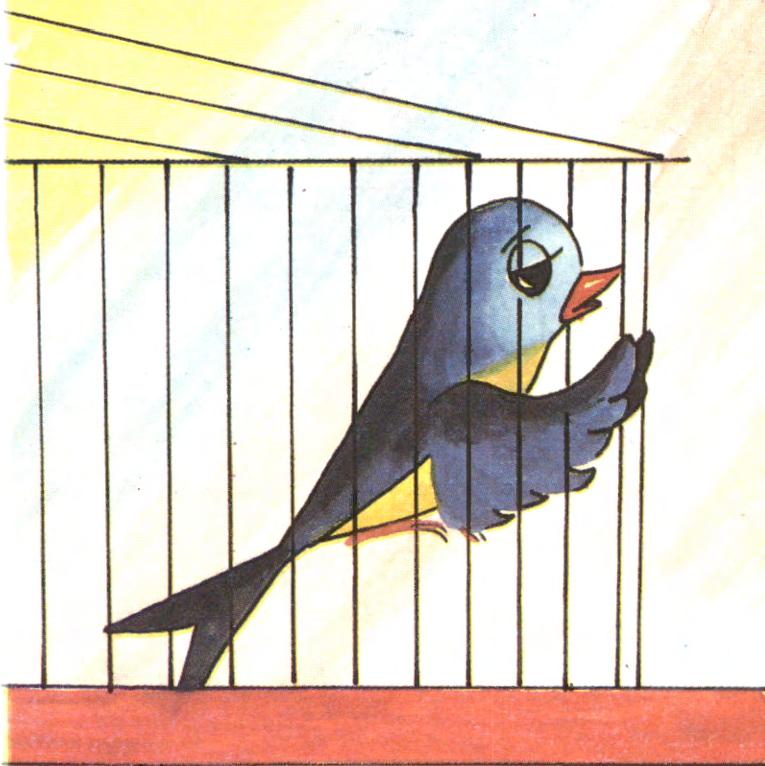
– ولَكِنْنِى أحِبُّكَ .. وأريدُ أنْ أحتفظَ بكَ .. ثمَّ إنّكَ أتَيْتَ إلىَّ بنَفْسِكَ ..

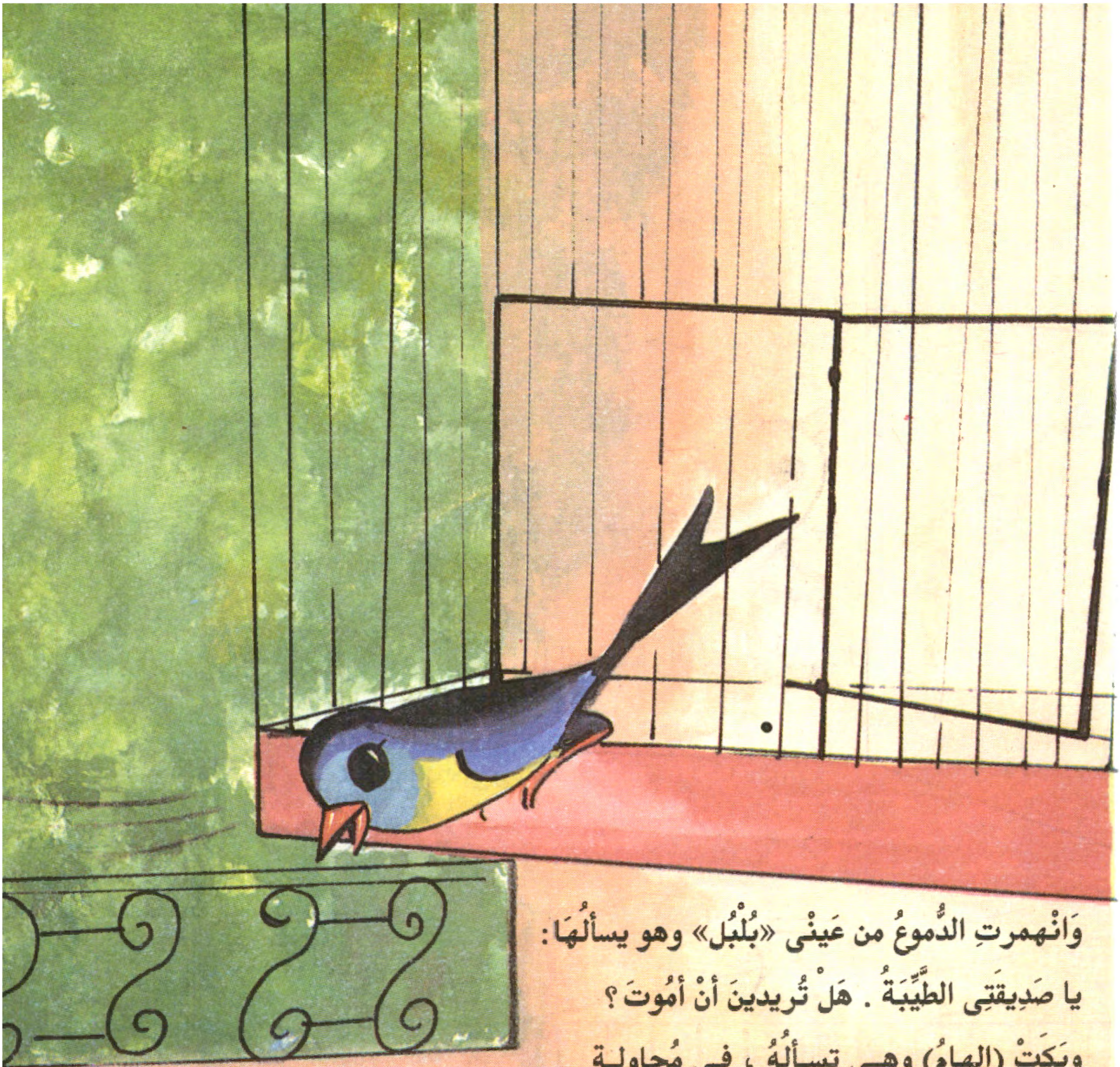
هتفَ «بُلْبُل» : بَلْ دَفعتنِى العَواصِفُ الشَّديدةُ وألقَتْنِى فى شُرفَتكِ ، بَعْدَمَا أطاحَتْ بعُشِّنَا .. وأنَا الآنَ أحْلمُ بالعودَةِ إلى أسرَتى .

قالتْ « إلْهامُ » فى مُحاوَلةٍ لإقْنَاعهِ :

– يا صَدِيقى . إننى أوَفِّرُ لَكَ الطعامَ والشَّرابَ ، وأرْعَاكَ ، وأتولَّى تَنْظِيفَ قفَصِكَ بنفسِى .

– ولكنْ فى النِّهَايَةِ هُوَ سجنٌ لى! سَوْفَ أمتنعُ عن الطَّعامِ والشَّرابِ حَتَّى الموت .. فالحريةُ عندِى أهَمُّ من الحياةِ نَفْسِها !





وَانْهمرتِ الدُّموعُ من عَينَى «بُلْبُل» وهو يسألُهَا:
يا صَدِيقَتِى الطَّيِّبَةُ . هَلْ تُريدينَ أنْ أمُوتَ ؟
وبَكَتْ (إلهامُ) وهى تسألُهُ ، فى مُحاولةٍ أخِيرَةٍ للتَّأثِيرِ عليه:

– ألاَ تعلمُ أنَّكَ ستتعبُ فى البحث عن الغِذاءِ والمكانِ الآمِنِ ؟ ! ثمَّ إنَّك لَنْ تَجِدَ بسهولةٍ أصدقاءَ يُحِبُّونكَ مِثلِى !

وصمتتْ « إلْهامُ » بَعْدَ أنْ نظرتْ إلى عَيْنَى « بُلبل » المَلُوَّتين بالتَّوسُّل والرَّجَاء ، وأخِيرًا مسحتْ « إلْهامُ » دُمُوعَها المنْسَابَةَ على خَدَّيْهَا ، وفى صَمْتٍ فتحتْ بَابَ القفص وهى تقولُ بصعوبةٍ : تَفَضَّلْ بالخُروج إلى الفَضَاءِ الوَاسِعِ الرَّحْبِ ! ! مَعَ السَّلامَة ! ! وَأضَافَتْ ببراءَةٍ : سوفَ تَنْدَمُ !

ونظرَ إليها « بُلبل » فى وُدٍّ وحُبٍّ ، وقَالَ :

- يا صَدِيقَتِى . إننى أحِبُّكِ أيضًا ، ولكنَّ حُرِّيَّتِى هى حُبِّى الأكْبَرُ .

وطَارَ فى لمحِ البصرِ .

واستيقظتْ « إلْهامُ » فكانَ أوَّلَ ما فعلتْهِ أنها أسرعتْ إلى العُصفور «بُلبل»



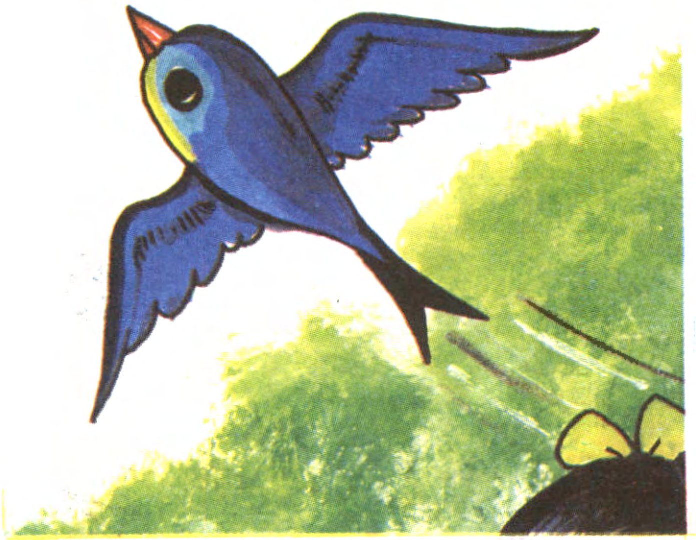
وفتحتْ لـه بـابَ القفص ، فَانْطلقَ نحوَ السَّمَاء فى سَعادَةٍ بالِغة .. وشعرتْ صَدِيقتُنا بارتياحٍ شَديدٍ ، وبرضَاءٍ تامٍّ عَنْ نَفْسِها ، برَغْمِ حُزْنِها الكبيرِ لفراقِ « بُلبل »..

وفى صَباح اليـومِ التَّـالِى فُوجِئـتْ « إلْـهامُ » بنقـراتٍ خَفيفـةٍ علـى زُجـاجِ شُرفَتِهَا ، فقامَتْ بِسُرعَةٍ لتَرى ما الأمْر .. وفُوجِئَتْ بــ « بُلبـل » مـع أبيـهِ وأمِّه ..

نَظَرَ الثلاثةُ إليـها بحُبٍّ شَـدِيدٍ وعِـرفَان بـالجَمِيل . ورفْرفـت العصَافِيرُ حَوْلَها وَهِىَ تلتقطُ الطَّعَامَ من يَديهَا الصَّغِيرَتَين .

وَمُنذُ ذَلِكَ اليومِ أدرَكَتْ «إلْـهامُ» مَعانِىَ جديـدةً ، وعَظِيمـةً .. للحُـبِّ ، والسَّعَادَةِ ، والحُرِّيَّةِ .





رقم الإيداع		١٩٩٩/١٠٢٨٦
الترقيم الدولى	977-02-5864-4	ISBN

٧/٩٩/٥٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)